ارتقاء سلوك الإيثار في مراحل الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة [1]

د. أحمد حسين الشافعي [2]
أستاذ مساعد – قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة حلوان.

ملخص الدراسة:

استهدفت الدراسة استجلاء كيف يرتقي سلوك الإيثار بين مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة. وتكونت عينة الدراسة من ٦٣٦ طفلا ومراهقا من طلاب المدارس (الذكور) في مدينة طنطا، يمثلون ثلاث مراحل عمرية؛ الطفولة المتأخرة (ن = ٢١٢)، المراهقة المبكرة (ن = ٢١٢)، المراهقة المتأخرة (ن = ٢١٢). طُبق عليهم مقياس الإيثار من إعداد الباحث. وتم ضبط متغيرات الذكاء والمستوى الاقتصادي– الاجتماعي. وتوضح النتائج أن مجموعة المراهقة المبكرة أفضل المجموعات في سلوك الإيثار، في حين كانت مجموعة الطفولة المتاخرة أقل المجموعات. ولم تختلف المجموعات الثلاث بصورة دالة في متغير التعاطف، بينما كانت مجموعة المراهقة المتأخرة أعلى المجموعات في سلوك المشاركة. وأخيرا كانت مجموعة المراهقة المبكرة أفضل المجموعات الثلاث في متغيرات التضحية.

---

[1] تم استلام البحث في ٢٠٢٠/١٢/٤ وتقرر صلاحيته للنشر في ٢٠٢١/١/١٠

(١) ت: ٠١١٥٥٢٩١٤٤٢ Email: a.alshafey63@gmail.com

ارتقاء سلوك الإيثار في مراحل الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة [٣]

د. أحمد حسين الشافعي [٤]

أستاذ مساعد – قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة حلوان.

مقدمة الدراسة

كانت دراسة السلوك البناء اجتماعيا Prosocial Behavior (وعلى رأسها الإيثار) – حتى عهد قريب – مجالا لا يلقى الاهتمام الكافي. ووفقا لـ Eisenberg (1982)، فإن بداية الاهتمام بالسلوك البناء اجتماعيا مثل التقمص الوجداني[٥] Empathy والمشاركة والمساعدة بدأت في عقد السبعينيات من القرن الماضي؛ الأمر الذي يمكن فهمه من خلال التوجه الإنساني للعلوم الاجتماعية، والذي أحدث تغيرات واسعة في أساليب التفاعل البشري. ورغم أن الوحشية موجودة عبر الزمن، فإن وحشية النوع الإنساني ضد ذاته تقل بازدياد الاهتمامات الخيِّرة، وبازدياد تبني الاتجاهات الإيجابية نحو الحفاظ على كرامة الحياة الإنسانية. فضلاً عن ذلك، فزيادة الاتجاهات الخيرة بات يوازيه زيادة مماثلة في الاهتمام بالفئات الخاصة من الضعفاء والعجزة والمرضي والجماعات الأخرى من ذوي الحاجة للرعاية مثل الأطفال. ولعل مثل هذا التحول في النظرة أدى إلى استثارة الاهتمام بتطوير السلوكيات الإيجابية والاهتمام بها (Eisenberg, 1982). ومن المؤسف أن الدراسات العربية لم تهتم بدراستها إلا بعد أن بدأ الاهتمام بها في الغرب (سيد أحمد عثمان، ١٩٨٦: ٦٠)[٦] رغم أن فئات السلوك الإيجابي مثل المساعدة، الكرم، المشاركة، البذل... الخ جميعها تعد تاريخيا ودينيا أهم سمات الشخصية العربية والإسلامية.

---

[٣] تم استلام البحث في ١٢/٤/ ٢٠٢٠ وتقرر صلاحيته للنشر في ٢٠٢١/١/١٠

(٢)ت: ٠١١٥٥٢٩١٤٤٢ Email: a.alshafey63@gmail.com

(٢) اصطلاح استخدمه *لبيتز* (١٩٠٣) ليدلل على انغمار المرء في عمل فني أو منظر طبيعي مما أدى إلى إدخال المفهوم في العديد من نظريات علم الجمال واستخدام التحليل النفسي هذا الاصطلاح عند "*أوتورانك*" ليدلل على ضرب من الحب الذي يقوم في العلاقة الطرحية في شقها الحبي مما يمكن من التعرف الموضوعي غير الشخصي في مقابل التعاطف. ويشير "*كمال دسوقى*" إلى أن الإمباثية (التقمص الوجداني) تشير إلى "العلم بحال عقل شخص آخر من غير شعور كما في التعاطف" والذي يشعر به الشخص الآخر. كمال دسوقى. ذخيرة علوم النفس. ص ٤٧٣ الجزء الأول.

(٣) يشير الرقم الأول بين القوسين إلى السنة والثاني إلى الصفحات.

ومن الناحية التاريخية، بدأت الدراسات التي عنيت بالسلوك البناء اجتماعيا في الظهور منذ السبعينيات، مثل دراسة Darley, Latante & Macouby (1970)، وعند منتصف السبعينيات نشرت عدة كتب لـBar-Tal (1976) و Mussen & Eisenberg (1977)، بل صدر عدد خاص عام ١٩٧٢ في دورية Journal of Social Issue واستمر التراث البحثي في الامتداد وبدأت تظهر بحوث عن السلوك البناء اجتماعيا Proscial والإيثار Alturism (Safder & Kausar, R. 2015). ويتفق الباحثون في مجال التنشئة على أن سلوك الفرد هو دالة لعملية التنشئة الوالدية التي خضع لها في الطفولة. فالرعاية الوالدية وغيرها من أشكال الرعاية هي بمثابة الأساس لنمو ثقة الطفل في نفسه، وبالتالي ثقة الآخرين من حوله. ويصبح هذا النمو قاعدة لقدرة الطفل علي فهم مشاعر الآخرين. وفي هذا الصدد يقول غاندي: "إذا أردت أن تصل إلى السلام الحقيقي في العالم، فعليك أن تبدأ مع الأطفال" (Swank; Limbeg & Liu, 2020: 34). وفي المقابل، يشير "Adler" إلى أن عواقب إهمال الطفل وعدم رعايته أو القسوة والإساءة إليه قد تفضي إلى شخصيات لديها تصورات خاطئة عن العالم الخارجي، وبالتالي تتبنى سلوكيات مضادة للمجتمع (هول، كالفن؛ لندزي، جاردنر، ١٩٧١: ١٧٣).

وتتم تنمية السلوك البناء اجتماعيا لدى الأطفال بدايةً في سياق الأسرة. فالعلاقات الوالدية التي تتسم بالحب والقبول تجاه الطفل تضع الأساس لعلاقاته واتجاهاته الإيجابية نحو الآخرين. فتعلم قبول وحب الآخرين يتم جنبا إلى جنب مع قبول الذات في إطار العلاقات الأسرية (ممدوحة سلامة، ١٩٩٠: ١٣٣). والشعور بالآخر يسبق الشعور بالذات، والوعي بالآخر باعث على الوعي بالذات، وهذه الذات بدون الآخر الذي تنتمي إليه تظل وجودا غافلا وخاليا من المعنى وتظل إمكان بالقوة لا يتحقق بالفعل إلا من خلال الآخر وبإيجابية العلاقة معه (فرج أحمد، ١٩٨٠: ٩٧).

ووفقا لـ Bar-Tal, Raviv & Liser (1980)، يتطلب السلوك الإيثاري الذي يقدمه الفرد – الذي هو سلوك مركب – مستوىً معيناً من النمو الخلقي والمعرفي والاجتماعي. فقدرة الطفل على تأجيل إشباع حاجاته الذاتية، وأن يضع نفسه موضع الآخر، والتنبؤ بعواقب السلوك الذي يقوم به كلها متطلبات مهمة للقيام بهذا السلوك (Bar-Tal & Nissim, 1984: 329). وأوضح Piliavin, & Charng (1990) أن القدرة على مساعدة الآخرين تزدادعلى مدى العمر: عندما يكبر الأطفال، يطورون التعاطف والمسؤولية الاجتماعية. استنادًا إلى Piliavin (2001)، يميل الأطفال الذين تعرضوا لسلوك الإيثار إلى إثبات ذلك السلوك. علاوة على ذلك، فإن التعلم الأكثر فعالية للإيثار من قبل الأطفال من خلال الممارسة، وبالتالي مشاركة الأطفال في الإيثار من خلال

النشاط التطوعي لوالديهم، وكذلك التطوع في المدرسة،يؤدي إلى تطور سابق للذات الإيثارية.

مشكلة الدراسة:

من المسلم به أن الحاجة إلى أن تنمية السلوك البناء بصفة عامة والإيثار بصفة خاصة يعد أحد المطالب الرئيسة التي يسعى إليها المُرُبون على اختلافهم. وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات العربية التي تناولته قليلة، كما أنه لا توجد دراسات عربية – في حدود اطلاع الباحث – عنيت بتتبع ارتقاء سلوك الإيثار، وتبدو الحاجة ماسة لدراسة وفهم تطور وارتقاء سلوك الإيثار لدى النشء في المجتمع المصري، نظرا لما نلاحظه من تدني الالتزام بالقيم الإيجابية بين أفراده، الأمر الذي يتطلب وضع البرامج اللازمة للارتقاء بتلك القيم وعلى قمتها الإيثار، لما له من اهميةللفرد والمجتمع، فتكشف الدراسات الحديثة عن ان السلوكيات الإيثارية، تساعد على التخفيف من آثار العنف المجتمعي والسلوكيات المضادة المجتمع الواقعة على الأولاد Rious & Cunningham (2018).

فضلا عن أنه على المستوى البحثي هناك دعوة لتبني والقيام بدراسات في علم النفس الإيجابي (فرج طه، ٢٠٠٥)، والبحث الحالي محاولة في هذا الاتجاه. وتتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الوقوف على الوزن النسبي لسلوك الإيثار والتعرف على ارتقائه، وذلك من خلال دراسته على عينة من طلبة المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية من مدينة طنطا.

تساؤلات الدراسة:

يمكن صياغة تساؤلات الدراسة في هذين التساؤلين:

١] هل توجد فروق بين المجموعات في درجاتهم على مقياس الإيثار والمقاييس الفرعية (التعاطف–المشاركة–التضحية)؟

٢] هل يتحقق مزيد من الارتقاء في الإيثار في صورة كمية مع التقدم في العمر من الطفولة إلى المراهقة؟

هدف الدراسة:

يتمثل هدف الدراسة في التعرف على ما إذا كان الإيثار بمكوناته: التعاطف والمشاركة والتضحية يرتقي بتقدم الزمن في مراحل الطفولة المتأخرة ومرحلتي المراهقة المبكرة والمتأخرة.

الأهمية النظرية والتطبيقية للدراسة:

تأتي الدراسة الحالية كمحاولة لتغطية نقصٍ واضحٍ في الدراسات العربية التي تتناول تطور الإيثار ومتعلقاته (التعاطف والمشاركة والتضحية) بين مرحلة الطفولة المتأخرة ومرحلة المراهقة

المتأخرة. ويمكن للمربين والوالدين الإفادة مما قد تتضمخ عنه الدراسة من نتائج في فهم سلوكيات الناشئة والمراحل النفس اجتماعية التي يمرون بها فيما يخص سلوك الإيثار ومتعلقاته.

التحديد الإجرائي لمصطلحات الدراسة:

محددات الدراسة:

يتحدد مستوى تعميم نتائج الدراسة الحالية بالحدود الجغرافية والديموغرافية لمدينة طنطا وبالأداة المستخدمة في قياس الإيثار وبالنطاق الزمني، حيث تم التطبيق في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠.

تحديد المفاهيم:

(أ) مفهوم الارتقاء:

يميل الباحثون إلى التمييز بين مصطلحي النمو [٧] والارتقاء، فيشير مصطلح النمو إلى "نطاق أضيق من الظواهر، وهو يعني تغيرات كمية؛ بينما يشير مصطلح الارتقاء إلى تغيرات كيفية متدرجة ثابتة في المظاهر الجسمية والذهنية" (in; Knudson, & Kagan, 1982: 249). ويضيف (Kaluger & Kaluger, 1979: 217) أن الارتقاء مستمر مدى الحياة، ويغطي الوجود الإنساني بأسره، على حين أن بعض جوانب النمو تصل إلى نقطه النضج، ثم لا يتحقق بعدها مزيد من التغير.

ويعرف (Goldenson, 1984: 217) الارتقاء بأنه سلسلة متتابعة من التغيرات الكيفية في الشكل أو التنظيم أو أنماط السلوك لدى الكائن العضوي من الميلاد وحتى الوفاة، وهو عملية مركبة من تكامل عديد من الأبنية والوظائف. ويربط kessen بين الارتقاء والعمر الزمني، حيث توصف الخاصية بأنها ارتقائية إذا ارتبطت بالعمر ارتباطاً منتظماً ومعقولاً (انظر: فؤاد أبو حطب وآمال صادق، ١٩٨٤: ١٠٦).

ويتحدد الارتقاء بأنه "سلسلة متتابعة من التغييرات الكيفية، ويعرف (English & English, 1958: 148)، الارتقاء بأنه "سلسلة من التغيرات المستمرة في نسق يمتد عبر فترة زمنية طويلة عند الكائن الحي، وهي تغيرات ثابتة ومتتابعة من الميلاد وحتى الوفاة. وتؤدي هذه السلسلة

---

(١) يشير معني النمو للأشياء من غير الكائنات الحية، إلي زيادة الشئ حالا بعد حال من نفسه لا بالإضافة إليه لهذا لا يقال لمن أصاب ميراثا أو أعطي عطية أنه نما ماله، وإنما يقال نما ماله إذا زاد في نفسه. ويقال للأشجار والنبات نوام، لأنها تزيد في كل يوم إلى أن تنتهي إلى حد التمام. والنماء في الماشية حقيقي، لأنها تزيد بتوالدها قليلا قليلا، وفي الورق والذهب مجاز (العسكري، ١٩٧٧: ٩٥).

إلى تغيرات غير قابلة للارتداد، وينتج عن هذه السلسلة من التغيرات المطردة درجة عالية من التميز والتعقد في النسق. وقد تظهر محصلة هذه التغيرات في البناء أو الوظيفة أو التنظيم أو الحجم أو التغاير أو التكامل أو الكفاءة، ويشمل مصطلح الارتقاء التغيرات الكمية والكيفية معاً".

ويعد الارتقاء دالة (أو محصلة) للعوامل الوراثية والبيئية وعمليات التنبيه خلال متصل من الزمن، وينتج عن هذا تغيرات في الكائن الحي وسلوكه (شاكر عبد الحميد، ١٩٨٩: ٤٤).

ويعنى الباحثون بدراسة نوعين من الارتقاء هما: الارتقاء المعياري والارتقاء الفردي. ويقصد بالنوع الأول التغيرات العامة في السلوك عبر العمر والتي يشترك فيها جميع الأفراد. بينما يشير النوع الثاني إلى معنيين، يقصد بالمعنى الأول منها صور التباين التي تدور حول المتوسط والخاصة بالمسار المعياري لارتقاء أي قدرة. في حين يشير المعنى الثاني إلى ما يتفرد به كل شخص بوصفه فرداً.

ويميل بعض الباحثين (انظر: أحمد عبد الخالق، ١٩٩٤: ٥٨) إلى قصر مصطلح الارتقاء على التغيرات التي تحدث فيما بين الميلاد والمراهقة فقط، بينما يرادف بعضهم بين مصطلحي الارتقاء والتغير الإيجابي، وهو تحديد غير ملائم لمصطلح الارتقاء. فالتغير لا يتوقف عند مرحلة المراهقة كما أنه لا يقتصر بالضرورة على صور التحسن والتقدم المطرد؛ فقد تدل التغيرات الارتقائية في بعض مراحل العمر وبالتحديد في مرحلة الشيخوخة على التدهور والانتكاس الذي يلحق بالكائن العضوي.

مما سبق نخلص إلى أن"الارتقاء" سلسلة من التغيرات الكمية والكيفية المستمرة والمتتابعة الثابتة والمتدرجة، ترتبط بالعمر ارتباطا منظماً تنتج عن عوامل وراثية وأخرى بيئية. وهي تلحق بالعمليات الفيزيولوجية والنفسية والبيئية، وتتسبب فى إحداث تغيرات بالمكونات الفيزيولوجية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والخلقية لدى الكائن الحي. وتمضى هذه التغيرات من البساطة إلى التركيب والتعقد وتتضمن زيادة في التنظيم والوضوح بين عناصر أو خصال الكائن. وقد تكون التغيرات فى اتجاه التحسن والتقدم نحو مزيد من التمايز والتكامل، فيتجه نمو الفرد من وظائف غير متمايزة إلى وظائف أكثر تحديداً وتمايزاً (كما يحدث في المضي من سن الطفولة إلى المراهقة). كما قد تكون هذه التغيرات في اتجاه التدهور والانتكاس، كما يحدث في مرحلة الشيخوخة (أحمد عبد الخالق، ١٩٩٤؛ شاكر عبد الحميد، ١٩٨٩: ٤٤؛ فؤاد أبو حطب وآمال صادق، ١٩٨٤: ٩٤).

من ناحية أخرى، تستخدم الدراسات الارتقائية مصطلح "المدى العمري" للإشارة إلى فترة محددة من العمر، مثلا من (١١) إلى (١٣) عاماً؛ بينما يشير مصطلح المرحلة الارتقائية إلى مدى

عمري أعرض في ارتقاء الإنسان كالمراهقة أو الرشد (أحمد عبد الخالق، ١٩٩٤).

وفيما يتصل بالدراسة الحالية فإنها تعنى بدراسة التغيرات في سلوك الإيثار بتقدم العمر عبر ثلاث مراحل ارتقائية هي: الطفولة المتأخرة (وتمتد من ٩ إلى ١٢ عاماً) والمراهقة المبكرة (وتمتد من ١٢,٥ عام إلى ١٥ عاماً) والمراهقة المتأخرة (وتمتد من ١٥,٥ عاماً إلى ٢٢ عام) في عينات من طلاب المدارس الذكور.

(ب) مفهوم الإيثار:

يتفق أهل الاختصاص على أن الإيثار هو أحد اشكال السلوك البنَّاء اجتماعيا. فهو يضم: الاستجابة الانفعالية البديلة vicarious emotional response، اتخاذ المنظور، التقمص الوجداني، التعاطف، الضيق الشخصي personal distress، المساعدة، المشاركة، الإراحة comforting، التعاون، الإيثار .... الخ.

يرى Underwwod & Moor (1977) أن السلوكيات البناءة اجتماعيا هى تلك السلوكيات التي تُنَفَّذ بقصد واضح هو إفادة الآخر أكثر من إفادة الذات. ويطلق على السلوك البناء اجتماعيا مسميات أخرى مثل: سلوك المساعدة والإيثار، ويطبقونها على آلاف السلوكيات التي تتراوح بين المساهمة بالمال كنوع من الإحسان إلى التضحية بالوقت لخدمة دور المسنين ومن إبطال مفعول قنبلة في حي سكني إلى مساعدة صديق في دراسته، ومن الاستجابة لطلب شخص لإرشاده إلى الطريق الصحيح إلى إعادة بطاقة تأمين فقدها صاحبها (phares, 1988 ,524 – 525).

وترى (Midlarsky, 1989: 349): أن السلوك البناء اجتماعيا أو المساعدة يطلق على الأفعال التي يتم التعهد بها لمصلحة الآخرين. وترى (Clary, 1994: 93) أن السلوك البناء اجتماعيا هو أحد الأشكال الإيجابية من السلوك التي تتضمن إفادة الآخرين، وهو مفهوم يقابل السلوك المضاد للمجتمع.

ومن ثم يتضح من هذه العينة من التعريفات أن السلوك البناء اجتماعيا يضم أغلب السلوكيات الإيجابية التي تتراوح من المساعدة والكرم والإيثار.. إلى مجرد التعاطف أو الاستدلال الأخلاقي. وأنتج هذا التوسع الفضفاض للمفهوم فوضى مفاهيمَّية (إنْ جاز هذا التعبير).

وتؤيد Zahan-Waxler & Yarraw (1976) هذا الاستنتاج، فيذكرون أن هذا المصطلح الغريب تستظل به مجموعة متنوعة من السلوكيات البناءة اجتماعيا والإيثار: قد يكون من المفيد تلمس التعريفات التي قدمت للسلوك البناء اجتماعيا بصفة عامة بوصفه سلوكاً إيجابياً،

والإيثار خاصة. وكذلك تتفق كل التعريفات على أن السلوك البناء اجتماعيا هو السلوك الذي يقصد منه (أو على الأقل ينتج عنه) صالح فرد آخر (أو أفراد آخرين). ويفرق بعض العلماء بين السلوك البناء اجتماعيا والإيثار؛ فالإيثار لا يقصد منه سوى إفادة شخص آخر (أو مجموعة أشخاص) مع انتفاء المنفعة المادية للشخص الذي يقوم بهذا الفعل، أما سلوك المعاضدة الاجتماعية فلا يشترط هذا. ويستخدم أغلب الباحثين مصطلح المساعدة بوصفه مرادفاً لمصطلح سلوك المعاضدة الاجتماعية (على سبيل المثال: phares, 1991, Midlarsky, 1988). هناك إذن خلط فى التراكمات البحثية بين السلوك البناء اجتماعيا من ناحية، وسوابق هذا السلوك (أي العمليات الداخلية التي تسبق حدوث السلوك البناء اجتماعيا والتي يعتبرها بعض الباحثين – مثل Batson (1991) – مسؤولة عن حدوث السلوك البناء اجتماعيا من ناحية أخرى).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يمكن التفريق بين الإيثار والسلوك البناء اجتماعيا من خلال "القصد"؛ فإذا كان القصد من المساعدة حاضراً كان السلوك إيثاراً، وإذا لم يكن الشخص يقصد المساعدة كان السلوك بناءً اجتماعيا. وبالإضافة إلى عنصر القصد يجب على القائم بالإيثار ألا يتوقع أى منفعة شخصية بأي شكل من الأشكال. فكما يذكر Buck & Ginsburg (1988)، يعرف الإيثار بأنه نزعة الكائن الحي إلى التصرف على نحو يزيد من رفاهية Welfare كائن حي آخر بدون فائدة ظاهرة بل وغالباً بتكلفة يتحملها القائم بالتصرف. ويضرب لنا Phares (1988) مثلاً على السلوك الإيثاري بذلك الشخص الذي يغوص في نهر ثلجي لإنقاذ كلب جانح في نهر ثلجي. فأي مكسب هذا الذي يجنيه من عمل كهذا، اللهم إلا تعريض حياته للهلاك!

ويمكن تلخيص العناصر التي يشترطها الباحثون في الإيثار في القصد أو النية وعدم توقع منفعة شخصية، وأن الذي يوجه السلوك هو محدد أخلاقي، كما يستلزم أيضا عنصر التضحية الذاتية، وأن يتم الفعل بكامل إرادة المرء دون إكراه. ومن وجهة النظر هذه لابد من توافر هذه العناصر في السلوك حتى يمكن وصفه بالإيثارية، بينما لا يشترط توافر هذه العناصر في السلوك البناء اجتماعيا.

وتؤكد Innotti على أن هناك شواهد جوهرية على أن الاستجابة لانفعالات الآخر يرتبط بالسلوك البناء اجتماعيا. كما توجد أدلة على أن الأطفال حساسون لحاجات الآخر، والاستجابة لحاجة الآخر دون طلب صريح لذلك. جادل Hoffmann (1981) بأن البشر "مبرمجون" ليس فقط ليكونوا أنانيين، ولكن أيضًا، في ظل ظروف معينة، لمساعدة البشر الآخرين، حتى ولو كان الثمن أنفسهم. في نظريته حول تنمية الدافع الإيثاري، اقترح Hoffmann أن الدافع الإيثاري يتم تطويره عند الرضع

كما أن الأطفال يفهمون مشاعر ودوافع الآخرين أو ما يسمى باتخاذ المنظور ويتصرفون بمقتضى هذا الوعي (Shah, S., & Ali, A., (2012).

وباستخدام تحليل الانحدار، ارتبط سلوك المساعدة بصورة دالة بالنزعة التقمص الوجداني. وتجدر الإشارة إلى أن المكون الانفعالي الأوليَّ للنزعة التقمص الوجداني إنما هو محدد رئيس من محددات الشخصية لسلوك المساعدة (Batson, 1987: 69). ويمكن تعريف التقمص الوجداني بأنها استجابة انفعالية لمحنة الآخر وفهمها. ورغم الجدل المستمر، فهناك اتفاق عام على أن التقمص الوجداني تضم مكونين؛ أحدهما معرفي والآخر انفعالي. ويتمثل الجانب المعرفي في اتخاذ المنظور أي القدرة على اتخاذ وجهة نظر الآخر، أما الجانب الانفعالي فهو لا يصل إلى حد التعاطف المستمر.

ما علاقة التقمص الوجداني بسلوك الإيثار؟ يجادل Batson (1991) بما يسميه بفرضية التقمص الوجداني – الإيثار. فالشعور بالتقمص الوجداني يثير الدافعية التي تقف وراء هدف محدد هو إفادة الشخص الذي تم الشعور نحوه بالتقمص الوجداني. وإذا كان هذا صحيحا، فإنه يتعارض مع الافتراض الشائع في علم النفس بأن الدوافع كلها موجهة بصورة جوهرية نحو هدف أناني هو زيادة الرفاهية الذاتية. بل إنه يناقض الافتراض الضمني بأن الطبيعة البشرية مجبولة على خدمة الذات أساسا. وتوحي هذه الفرضية بأننا نتفاعل مع الآخرين، ليس لأنهم مصادر المكافأة والمعاقبة، أو لأنهم مصادر للتسهيل والمنع في كل مسعى يستهدف صالحا، بل إننا قادرون بالفعل – حسب الفرضية هذه – على السهر على رفاهية الآخرين لذاتها وليس من أجل ذواتنا.

ولكن كيف تساعد التقمص الوجداني على نمو السلوك الإيثاري؟ يجيب Phares (1988) بأن للتقمص الوجداني دورا هاما في الحفز على الإيثار، فالشخص المتعاطف يكون مدفوعا بمساعدة ذي الحاجة. فإذا مَرَرتُ بخبرةٍ محزنةٍ، فأنا بالتأكيد مدفوع إلى تقبلها. وإذا كان لديَّ تعاطف نحو شخص آخر يمر بخبرة محزنة، فسيكون لدي الرغبة في تخفيفها، حيث إنني أمر بهذه الخبرة بدرجة ما. وعندما تطلب المنظمات الخيرية المساعدة، فإنها تؤثر بشدة على مشاعرنا. إنها لا تفعل ذلك لمجرد تذكيرنا بوجود أطفال جوعى، إنها تعرض علينا صورا لأولئك الجوعى، وتحاول استثارة الاستجابة التقمص الوجداني التي ترفع من الدافع للقيام بإسهام ما.

تطور الإيثار لدى الأطفال: يتضح السلوك الإيثاري لدى الأطفال من خلال الأفعال التي يقومون بها لخدمة الآخرين، سواء كانوا بشرا يعرفهم الأطفال أو غرباء لا يعرفونهم أو حيوانات أو أفعال تهدف خدمة المجتمع. ووضع Robinson & Curry (2007) نموذجا لتحديد كيف يتطور

الإيثار. حسب النموذج، يهم في الإيثار أربعة عوامل هي: العامل البيولوجي، العامل المعرفي، عامل التعلم الاجتماعي، العامل الديني/الروحي. ودرس الباحثون جوانب هذا النموذج الأربعة المتعلق بكيفية ظهور الإيثار لدى الكبار. وبالنسبة للأطفال، هناك عاملان حسب هذا النموذج هما: العامل المعرفي وعامل التعلم الاجتماعي. وفيما يلي عرض لهما.

النظرية المعرفية في تطور الإيثار:

تقترح Eisenberg, *et al.* (1991) أن الإيثار مكتسب معرفيا، حيث يطور الأطفال قدرتهم على اتخاذ منظور الآخرين. ونتيجة لذلك، يطور الأطفال التقمص الوجداني. إلى ذلك، كلما نضج الأطفال تتطور قدرتهم المعرفية على فهم الإيثار. ووجد Wu & Su (2014) أن سلوك المشاركة لدى صغار الأطفال يرتبط إيجابيا بالنمو المعرفي. وباعتبار التطور المعرفي أمر مركزي ضمن البيئة المدرسية، تزود المدرسة بفرصة حاسمة لأن يتعلم الأطفال الصفات الإيثارية ويُنمُّوها.

التعلم الاجتماعي وتطور الإيثار:

تفيد نظرية التعلم الاجتماعي بأن السلوك الإيثاري مكتسب من خلال التفاعلات الاجتماعية والنمذجة. وحسب (Ottoni-Wilhlm, *et al.*, 2014)، وجد الباحثون أن نمذجة الدور الوالدي حول البذل والتطوع يرتبط بالبذل والتطوع لدى المراهقين. إضافة لذلك، وجد العلماء علاقة موجبة بين سلوك المعلمين المساند اجتماعيا وسلوك المساعدة لدى الطلبة في الصف (Kokkonen, *et al.*, 2013).

من العرض السابق يمكننا استخلاص بعض المكونات الرئيسة للإيثار، والتي تتمثل في الجانب المعرفي والوجداني ثم الجانب الأدائي لهذا السلوك. وقد يكون من المفيد تناول كلٍّ منها من منظور ارتقائي.

أولا: ارتقاء الجانب المعرفي للإيثار:

أجرى الباحثون الذين سترد أسماؤهم في هذا الجزء سلسلة من الدراسات، عنيت برصد التغيرات الارتقائية التي تطرأ مع زيادة العمر من الطفولة إلى المراهقة. وانتهت هذه الدراسات في معظمها إلى ما يؤكد حدوث زيادة في المظاهر الدالة على التعاطف والتقمص الوجداني، بتقدم العمر.

وأوضحت نتائج الدراسات التي أجراها Bengtsson & Johnson (1987) على (٤٨) طفلا سويديا، تراوحت أعمارهم بين (٦ و١١ سنة)، أن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا أظهروا تعاطفا

مع أقرانهم الذين يحبونهم مقارنة بالذين لا يحبونهم، في حين لم يظهر ذلك الفرق لدى الأطفال في المجموعة الأصغر سنا. وتبدو مظاهر هذا الارتقاء في بزوغ القدرة على تبني منظور الآخر لدى الأطفال في سن الحادية عشرة، بينما لم تظهر هذه القدرة لدى الأطفال في سن السادسة.

وفي الدراسة الطولية (التتبعية) التي أجراها Davis & Franzoi (1991) على (٢٠٥) تلميذا بالصفوف من التاسع وحتى الثاني عشر، وذلك بهدف الكشف عن مظاهر الاستقرار والتغير في الوعي بالذات والتقمص الوجداني خلال مرحلة المراهقة، كشفت النتائج عن درجة كبيرة من الاستقرار تلحق بكلتا السمتين مع التقدم في العمر. ورغم عدم وجود فروق بين مجموعات المراهقين في درجات الوعي بالذات، فان النتائج أظهرت زيادة واضحة في بعض مكونات التقمص الوجداني شملت: القدرة على تبني منظور الآخر، والتعاطف.

وفي إشارة لتأكيد الدور المهم لعمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء التقمص الوجداني والتعاطف عند الأطفال والمراهقين، أجرت Eisenberg, *et al.* (1992) دراسة على (٧١) طفلا ومراهقا من الجنسين، بالإضافة إلى والديهم، بهدف فحص العلاقة بين التعاطف عند الوالدين واستجابات التعاطف لدى أبنائها. وأوضحت النتائج أن تعاطف الوالدين ارتبط إيجابيا بالمستوى المنخفض من الشعور بالمحنة الشخصية لدى أبنائهم ولديهم هم شخصيا، في حين ارتبط ظهور التعاطف لدى الأبناء بتأكيد الآباء استراتيجيات مواجهة المشكلات عندما يتعرض أبنائهم لمشكلات. كما ارتبطت القيود التي تضعها الأمهات على أبنائهن، فيما يتعلق بالإيذاء الانفعالي للآخرين، بظهور مؤشرات غير لفظية للتعبير عن المحنة الشخصية وارتبطت أخيرا بصورة إيجابية بنمو مراقبة الذات عند الأطفال

وقام Ricard & Killicci (1995) بإجراء دراسة على (٤٨) طفلا، استهدفت الكشف عن مظاهر ارتقاء التعاطف عند الأطفال. وتوزعت عينة الدراسة على مجموعتين عمريتين، حيث بلغ متوسط العمر في المجموعة الأولى (٥,٨) سنة، في حين كان في الثانية (٧,٨) سنة. وأوضحت النتائج أن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا كانوا أكثر قدرة على طرح هاديات شخصية، ومبررات نفسية لتفسير انفعالات الآخرين، في حين أظهر الأطفال في المجموعة الأصغر تعاطفا متزايدا مع عواطف وانفعالات الآخرين. كذلك كشفت الدراسة الطولية التي أجرتها Eisenberg *et al.* (1995)، على (٣٢) مراهقا عن وجود علاقة إيجابية بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي وظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لدى هؤلاء المراهقين.

وفي دراسة تالية أجراها Krevans & Gibbs (1996) على (٧٨) طفلا ومراهقا تراوح

متوسط أعمارهم بين (٥,١١ و١٤,٣) سنة، واستهدفت الكشف عن العلاقة بين القواعد التي يقرها الوالدان وبين استجابات التعاطف والسلوكيات الاجتماعية الإيجابية عند الأطفال. انتهت النتائج إلى أن استخدام الآباء لمبادئ التفكير الاستقرائي إبَّان عمليات التنشئة ارتبط بظهور التعاطف والسلوك الاجتماعي الإيجابي عند الأبناء. كما تبين أن التعاطف توسط العلاقة بين القواعد الوالدية والسلوك الاجتماعي الإيجابي؛ وفي الوقت نفسه كشفت النتائج عن وجود ارتباط منخفض بين الشعور بالذنب وظهور سلوك اجتماعي إيجابي.

كما أجرى Roberts & Rayer (1997) دراسة على ٧٣ طفلا، وذلك بهدف رصد الفروق بين ثلاث مجموعات عمرية (٥، ٩، ١٩) سنة على التوالي. في التعاطف. وكشفت النتائج عن وجود فروق في التعاطف بين المجموعات الثلاث، حيث كانت المجموعة الأكبر سنا أعلى في التعاطف من المجموعتين الآخرين؛ كذلك وجد أن الإناث أعلى في التعاطف من الذكور، سواء فيما يتعلق بالاستجابات اللفظية أو الاستجابات التعبيرية على حد سواء.

كذلك تؤكد دراسة Gurthrie *et al.* (1997) أهمية أن تكون لدى الأطفال درجة عالية من التنظيم والمرونة لحدوث التعاطف مع الآخرين.

وأظهرت نتائج الدراسات التي أجراها Tellegen & Vander-Bolt (1997)، على (١٩٨) طفلا ومراهقا وجود علاقة بين قراءة الكتب الأدبية وارتقاء كل من: التعاطف والتقمص الوجداني. فقد تبين أن المراهقين الذين يقرؤن هذه النوعية من الكتب كانوا أعلى في التقمص الوجداني والتعاطف، وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين يقرؤن هذه الكتب بقدر أقل أو الذين لا يقرؤنها.

وأجرى Janssens & Dekovic (1997) دراسة على (١٢٥) طفلا، تراوحت أعمارهم بين (٦ و١١) سنة، وذلك بهدف الوقوف على العلاقة بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي المرتبط بقضايا اجتماعية إيجابية، وبين ظهور السلوك الاجتماعي الإيجابي لديهم. وأشارت النتائج إلى وجود علاقة إيجابية بين الاستدلال الأخلاقي والسلوك الاجتماعي الإيجابي لدى الأطفال الأصغر سنا، في حين لم تتأكد هذه العلاقة لدى الأطفال الكبار. كذلك أوضحت نتائج الملاحظات السلوكية لأساليب التنشئة الأسرية أن التنشئة التي تتسم بالدعم الاجتماعي والتسامح تيسر للأطفال تفكيرا يتسم بالأخلاقية، ومزيدا من السلوكيات الاجتماعية الإيجابية فيما يتعرضون له من مواقف ومشكلات.

ومن الأهمية الإشارة إلى أنه من خلال استعراض دراسات ارتقاء التمثل الوجداني والتعاطف هذه يُلاحَظ أنها أجريت على عينات تنتمي إلى مراحل عمرية مختلفة، بدءًا من الطفولة المبكرة وانتهاءً

بالرشد. وقد استعانت هذه الدراسات بالمناهج التتبعية والمستعرضة – على حد سواء – وانتهت نتائجها إلى ما يشير إلى حدوث تغيرات ارتقائية تطرأ على التمثل الوجداني خلال الانتقال من الطفولة إلى المراهقة، تتمثل في زيادة القدرة على تبني منظور الآخر، والتعاطف، والقدرة على تفسير انفعالات ومشاعر الآخرين.

كذلك أوضحت النتائج أن التنشئة الأسرية تؤدي دورا فعَّالا في ارتقاء وعي الأطفال بالآخرين وزيادة قدرتهم على رؤية منظور الآخر، وتبني وجهة نظره والتعاطف معه. من ناحية أخرى، تباينت أساليب قياس وتقدير التمثل الوجداني والتعاطف، فبينما استعانت بعض الدراسات بمقاييس التقدير الذاتي، والتقدير اللفظي، استخدمت دراسات أخرى أسلوب الملاحظة، واعتمدت على تقارير الوالدين عن سلوك أبنائهم، في حين استعانت دراسات ثالثة ببعض المؤشرات الفسيولوجية المصاحبة للتمثل الوجداني والتعاطف مثل: معدل ضربات القلب، ونشاط الجلد، وتعبيرات الوجه. وقد أعاق هذا التباين في أساليب القياس التوصل إلى نتائج متسقة، كما صعَّبَ من إمكانية عقد مقارنات فيما بين نتائج هذه الدراسات بعضها بعضا.

ثانيا: **ارتقاء الجانب الوجداني**:

اتجهت مجموعة الدراسات في هذه الفئة إلى فحص العلاقة بين الفعل الأخلاقي، وكل من: التمثل الوجداني والتعاطف؛ وكشفت نتائجها عن صور من التعارض فيما بينها. فعلى حين انتهت بعض الدراسات (e.g.: Krebs, 1970; Batson, *et al.*, 1981; Hoffman, 1982; Eisenberg, *et al.*, 1983; Batson, 1987) إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين سلوك الإيثار والتقمص الوجداني والتعاطف، أشارت دراسات أخرى (e.g.: Knudson & Kagan, 1982; Underwood & Moor, 1977) إلى عكس ذلك، حيث لم تكشف نتائجها عن مثل هذه العلاقة بين المتغيرات.

وفيما يلي عرض لبعض الدراسات الممثلة لهذه الفئة من الدراسات، ومنها الدراسة التي أجراها Knudson & Kagan (1982) على ٨٨ طفلا من الجنسين موزعين على مجموعتين؛ تراوحت أعمار الأطفال في المجموعة الأولى بين (٥,٦ و٧,٤) سنوات، في حين تراوحت الأعمار في المجموعة الثانية بين (٧,٥ و٩) سنوات. واستهدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين التقمص الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي. وأشارت النتائج إلى حدوث ارتقاء في التقمص الوجداني، حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى في التقمص الوجداني من المجموعة العمرية الأصغر، بينما لم تكشف النتائج عن وجود علاقة دالة بين التمثل الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي.

وقام Eisenberg & Miller (1987) بإعادة تحليل نتائج (١٣٠) دراسة تتصل بالعلاقة بين التقمص الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي باستخدام أسلوب ما وراء التحليل – meta analysis، وانتهت إلى أن العلاقة بين التقمص الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي تراوحت بين العلاقة الإيجابية المنخفضة والمتوسطة الدرجة. كما أظهرت النتائج أن أسلوب قياس التمثل الوجداني له تأثير كبير في تشكيل صورة هذه العلاقة؛ فقد أشارت نتائج الدراسات التي استعانت بأسلوب الصورة / القصة لقياس التقمص الوجداني إلى وجود ارتباط غير دال بين التقمص الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي، في حين ظهرت علاقة إيجابية بين المتغيرين في حالة الدراسات التي استخدمت أساليب قياس أخرى شملت: التقارير الذاتية، والاستخبارات، ورصد التغيرات الفسيولوجية، وتعبيرات الوجه.

وفي الدراسة التي أجرتها Eisenberg, *et al.* (1989) على (٧٩) مراهقا من الجنسين، وقد هدفت إلى فحص العلاقة بين التعاطف وسلوك المساعدة، تبين وجود ارتباط دال بين الدرجة على مقياس التعاطف والقيام بسلوك المساعدة. وتسهم الحالة المزاجية في سلوك المساعدة، فمن خلال دراستها، قدمت Midlarsky (1984) نموذجا يربط بين تقديم المساعدة وتخفيف الضغوط عن الأشخاص الذين يقدمون المساعدة وشعورهم بأنهم أفضل حالا. وتذكر ميدلارسكي أن النمط الأكثر قوة للنتائج الإمبريقية هو أن مساعدة الآخرين يؤدي إلى زيادة في حُسن الحال Well-being بين الناس الواقعين تحت الضغوط أكبر منه بين الناس غير الواقعين تحتها. وبافتراض وجود تفاعل بين المزاج الطيب وسلوك المساعدة، فلا عجب أن يؤثر المزاج الطيب في سلوك المساعدة. فأولئك الذين يكونون في مزاج سيء منشغلون بصعوباتهم وصور قلقهم، ومن ثم يكونون أقل انشغالا بمصاعب الآخرين، وإذن يكونون أقل ميلا لتقديم المساعدة (penningten, *et al.*, 1999).

وفى دراسة حنان العنانى (٢٠٠٧) بعنوان المساعدة والإيثار لدى عينة من معلمات رياض الأطفال فى الأردن؛ للتعرف على سلوك المساعدة لدى عينة من معلمي الأطفال فى الأردن، وأثر متغيري الجنس والعمر والتفاعل بينهما على هذا السلوك، وأثرهما على درجة المساعدة الإيثارية والمساعدة ذات التكلفة المنخفضة، كما استهدفت الدراسة الكشف عن الأهمية النسبية لدوافع المساعدة من وجهة نظر معلمي الأطفال. ولأغراض الدراسة تم تطبيق استبانة على عينة تألفت من (١٦٨) معلمًا ومعلمة تم اختيارهم من رياض الأطفال ومدرسي التعليم الأساسي بمنطقة وادي السير، وقد أظهرت النتائج الآتي: كانت درجة المساعدة لدى معلمي الأطفال مرتفعة، وكما بينت النتائج أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى درجة المساعدة تعزى للجنس فى اتجاه الذكور، ولا توجد فروق

ذات دلالة إحصائية فى درجة المساعدة تعزى للعمر، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الإيثار تعزى للجنس فى اتجاه الذكور، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة المساعدة ذات التكلفة المنخفضة تعزى للجنس أو للعمر أو للتفاعل بينهما، وأخيرا أظهرت النتائج إن الدوافع الأكثر أهمية في دفع الفرد لسلوك المساعدة من وجهة نظر معلمي الأطفال هي: الدين، والتعزيز الذاتي، والمسؤولية، والكفاءة، والتعاطف

ثالثا: ارتقاء الجانب الأدائى للإيثار:

ينصب الاهتمام هنا على استعراض مجموعة الدراسات التي عنيت بارتقاء سلوك المساعدة، وتقديم العون (الإيثار، المشاركة، التطوع٠٠٠الخ) عند الأطفال والمراهقين، وتوضيح أهم المتغيرات التي ترتبط بارتقائه. ففي الدراسة التي أجراها كل من جرين وشنيدر (Green & Schneider, 1974) على (١٠٠) طفل ومراهق تراوحت أعمارهم بين (٥ و١٥) سنة، وذلك بهدف معرفة العلاقة بين العمر وبعض صور الإيثار. أشارت النتائج إلى أن سلوكيات المشاركة والمساعدة تزداد مع التقدم فى العمر من الطفولة إلى المراهقة، في حين لم يكن العمر متغيرا دالا بالنسبة لسلوك التطوع. كما أجرى Wienner & Rushton (1975) دراسة على (٦٠) طفلا موزعين على مجموعتين (تمثل الأولى أطفالا في سن السابعة، في حين تضم الثانية أطفالا في سن الحادية عشرة)، وذلك بهدف رصد الفروق بين المجموعتين في سلوك الإيثار. وكشفت النتائج عن وجود فروق دالة بين مجموعتي الأطفال؛ حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى إيثارا من مجموعة الأطفال الأصغر وذلك في جميع مظاهر سلوك الإيثار.

عنيت بعض الدراسات بالوقوف على الدور الذي تؤديه عمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء السلوك الاجتماعي الإيجابي؛ ومنها الدراسة التي أجراها (Hoffman, 1975) على (٨٠) طفلاً من الجنسين بالإضافة إلى والديهم؛ واستهدفت تحديد أثر العلاقة بين الطفل والوالدين في ارتقاء سلوك الإيثار. وكشفت النتائج عن وجود ارتباط إيجابي بين سلوك الطفل الإيثاري، والقيم الإيثارية للوالدين. كما أظهرت النتائج أن الإيثار عند الأطفال الذكور قد ارتبط بمبدأ محاكاة إيثار الوالدين للآخرين. وتدعم هذه النتائج عموماً ما يسهم به الوالدان من قيم ومبادئ تساعد في ارتقاء الإيثار عند الأطفال.

وانتهت دراسة Moely & Skarin (1976) إلى ما يدعم النتائج السابقة. فقد أجرى الباحثان دراستهما على (١٩٢) طفلا من الجنسيين بين (٥ و١٢) عاما، وذلك بهدف فحص علاقة كل من العمر والجنس بارتقاء سلوك الإيثار، حيث كشفت النتائج أن الإيثار كان أعلى لدى المجموعات العمرية الأكبر، كما تبين أن الإناث كن أكثر إيثارا من الذكور.

وفى الدراسة التي أجرتها Yarrow & Zahan-Waxler (1976) على (١٠٨) طفلا، تراوحت أعمارهم بين (٣ و٧,٦) سنة، واستهدفت معرفة أكثر السلوكيات الاجتماعية الإيجابية شيوعا خلال هذه المرحلة العمرية، أوضحت نتائج ملاحظة الأطفال – في عدد من المواقف التجريبية والطبيعية – أن سلوك المساعدة كان هو أكثر شيوعا وتكرارا بالمقارنة بسلوكيات المشاركة والعمل التطوعي؛ كما لم تظهر علاقة واضحة بين كل من العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي.

وأجرى (Ma & Leung, 1991A) دراسة على (١٠٩٥) تلميذا بالصفوف من الثاني إلى السادس الابتدائي، بهدف الوقوف على مظاهر ارتقاء سلوك الإيثار لدى هذه المجموعات العمرية؛ وقد كشفت النتائج عن وجود علاقة سلبية بين العمر والإيثار، حيث كان الأطفال الأصغر سنا أعلي في توجهاتهم الإيثارية من الأطفال في الأعمار الأكبر. كما أوضحت النتائج كذلك وجود ارتباط إيجابي بين التوجه الإيثاري وكل من الذكاء وتقدير الذات.

وفي دراسة تالية (Ma & leung, 1991B) أجريت على (١٤٤) تلميذا بالصفوف من الأول وحتى السادس الابتدائي، بهدف فحص العلاقة بين العمر وسلوك الإيثار، وذلك في ظل ثلاثة سياقات من العلاقات الاجتماعية تضمنت التالي:

أ- شخص يفضله الطفل في مقابل شخص لا يفضله.

ب- شخص ينظر إليه الطفل على أنه متفوق دراسيا في مقابل شخص آخر ضعيف دراسيا.

جـ- شقيق الطفل في مقابل طفل آخر لا يعرفه.

وكشفت النتائج عن أن الأطفال يسلكون بشكل إيثاري مع أولئك الذين يفضلونهم بالمقارنة بالذين لا يفضلونهم، ومع الأشخاص الذين يدركونهم بوصفهم متفوقين دراسيا، عن الأشخاص الذين تم إدراكهم بوصفهم ضعفاء دراسيا، ومع إخوتهم أكثر مما يسلكون مع الأشخاص الذين لا يعرفونهم. كما أوضحت النتائج وجود علاقة إيجابية بين العمر والإيثار، حيث كان الأطفال الأكبر سنا أكثر ميلا للإيثار. وتطرح هذه النتائج وجود علاقة مركبة بين العمر والإيثار، مؤداها أن هذه العلاقة تقوم في ظل وجود علاقات صداقة، ووجود ترابط وجداني وصلة قرابة بين المانح والمستفيد.

وتؤكد دراسة Lourenco (1993) العلاقة الإيجابية بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي. أجرى الباحث دراسته على ٧٢ طفلاً يمثلون ثلاث مجموعات عمرية (٥، ٧، ١٠ سنوات) بهدف الوقوف على اتجاه وقوة العلاقة بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي. وقد كشفت نتائج الدارسين المستعرضة، والطولية (التتبعية) لنفس العينة، عن زيادة ظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية مع التقدم في العمر.

وتدعم هذه النتائج في مجملها الدور الإيجابي لعملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من توفير نماذج قدوة، وتدعيمات سلوكية في ارتقاء سلوكيات المساعدة والإيثار.

قامت **رجوات متولي** (١٩٩٩) بدراسة لمعرفة ارتقاء الأبعاد الأساسية لسلوك تقديم المساعدة لدى الأبناء الذكور. وأجريت على عينة من (٤١٢) مبحوثا، تم توزيعهم وفقاً لمتغير السن إلى ثلاث مجموعات: مجموعة الطفولة المتأخرة (ن = ١٢٠) بمتوسط عمري قدره (١٠,٤) سنة، مجموعة المراهقة المبكرة (ن = ١٤٢) بمتوسط عمري قدره (١٣,٤ سنة ومجموعة المراهقة المتأخرة (ن = ١٥٠) بمتوسط قدره (١٦,٣) سنة. وطُبِّقَ في هذه الدراسة مقياس سلوك تقديم المساعدة واستمارة بيانات ديموجرافية. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة (الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة) في الدرجة الكلية لسلوك تقديم المساعدة والأبعاد الفرعية (المساعدة في مواقف الحياة اليومية، مواقف الخطر، التعاطف مع الآخرين، استشعار مشاعر الآخرين) والفروق لصالح مجموعة مرحلة المراهقة المتأخرة (رجوات متولي، ١٩٩٩).

عموماً، يبين لنا الفحص الدقيق لدراسات ارتقاء المساعدة والإيثار أن الباحثين استعانوا بأساليب قياسية متنوعة لرصد مظاهر هذه السلوكيات عند الأطفال والمراهقين. طلب Hoffman (1975) من جمهور التلاميذ تحديد الأشخاص الأكثر تقديماً للمساعدة والعون، وذلك باستخدام استخبار سوسيومتري، في حين قدمت Radk-Yarroo, *et al.* (See: Bar-Tal & Herman, 1977) صوراً تعبر عن موقف حزن أو شدة يمر به أحد الأشخاص، ثم طلب من المبحوثين تقديم العون لهذا الشخص؛ كما درست Yaroo & Zahan-Waxler (1976) أيضا استجابة الأطفال للمساعدة من خلال تعريضهم لمواقف طبيعية؛ وأخيراً درس Rushton & Wienner (1975) سلوك المساعدة في مواقف معملية، من خلال إعطاء المبحوثين فرصة لمنح جائزة تخصهم لأحد الأشخاص.

والدراسة المصرية الوحيدة (فى حدود ما اطلع عليه الباحث) التي عنيت بقياس ارتقاء سلوك المساعدة لدى الأطفال هي دراسة رجوات متولي (١٩٩٩) والتي أشارت إلى تطور هذا السلوك مع العمر.

ومع تنويع أساليب قياس المظاهر الارتقائية للمساعدة والإيثار تنوعت نتائج البحوث. انتهت بعض الدراسات إلى ما يشير إلى حدوث زيادة كمية في سلوكيات المساعدة والإيثار مع التقدم في العمر من الطفولة إلى المراهقة، في حين انتهى بعضها الآخر إلى عكس ذلك حيث تقل هذه السلوكيات مع التقدم في العمر؛ فالأطفال أكثر إيثارا وتقديما للمساعدة من المراهقين، بينما طرح فريق ثالث قضية وجود علاقة مركبة بين العمر والإيثار، حيث تقوم العلاقة بينهم في ظل وجود

متغيرات أخرى مثل: الصداقة والحميمية.

(أ) فروض البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى التحقق من صحة الفرضين الآتيين:

(أ) توجد فروق بين المجموعات في درجاتهم على مقياس الإيثار والمقاييس الفرعية (التعاطف– المشاركة–التضحية)

(ب) يتحقق مزيد من الارتقاء في الإيثار في صورة كمية مع التقدم في العمر من الطفولة إلى المراهقة.

الإجراءات

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية على الطريقة المستعرضة وهي إحدى طريقتين لدراسة نمو وارتقاء السلوك وهما الطريقة التتبعية والطريقة المستعرضة. والأخيرة تتيح دراسة الفروق العمرية، وذلك من خلال تطبيق أدوات البحث على المجموعات الممثلة للأعمار المختلفة في الوقت نفسه. وباستخدام متوسط درجات الأداء لكل مجموعة عمرية باعتباره مؤشرا لمقدار الارتقاء للظاهرة موضع الاهتمام من مستوى عمري إلى المستوى الذي يليه (زين العابدين درويش، ١٩٧٤: ٣٥). لا يعالج البحث الحالي في استخدامه للطريقة المستعرضة العمر بوصفه متغيرا مستقلا، بل يعالجه بوصفه وعاءً زمنيا يتغير السلوك في نطاقه تغيرات بفعل عوامل بيئية اجتماعية أو نفسية أو فسيولوجية، أو جميعها معا.

(ب) العينة:

يتمثل مجتمع الدراسة في طلبة المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بمدينة طنطا، حيث اختيرت عينة الدراسة عشوائياً من بين تلك المدارس. وروعي في الاختيار عدة اعتبارات كالتالي:

١– تمثيل ثلاث مراحل ارتقائية وهي: الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة. وروعي فيها أن تمثل العمر كالتالي:

(أ) مرحلة الطفولة المتأخرة (وتمتد من ٩: ١٢ سنة)، وتم اختيارها عشوائياً من تلاميذ الصف السادس الابتدائي (ن = ٢١٢).

(ب) مرحلة المراهقة المبكرة (وتمتد من ١٣: ١٤ سنة)، وتم اختيارها من طلاب الصف الثالث

الإعدادي (ن = ٢١٢).

(جـ) مرحلة المراهقة المتأخرة (وتمتد من ١٧: ١٨ سنة)، وقد تم اختيارها من طلاب الصف الثالث الثانوي (ن = ٢١٢).

٢- ضبط متغير الذكاء، نظراً لما كشفت عنه بعض الدراسات من وجود علاقة دالة بين السلوك الإيجابي ودرجة ذكاء الفرد. وتم مراعاة ذلك من خلال الاعتماد على النسبة المئوية للتحصيل الدراسي بوصفها منبئاً للذكاء لكل فرد، وروعي تحقيق التجانس بين العينات في ذلك.

٣- اقتصار العينة على الطلاب الذكور فقط.

٤- ضبط متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي، نظراً لما قد يحدثه التفاوت في المستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة إلى تغيرات في الإيثار بين العينات المختلفة، تم الاقتصار على الأفراد الذين ينتمون إلى أسر متوسطة المستوى الاقتصادي الاجتماعي. ويوضح جدول رقم (١) خصائص العينة.

جدول رقم (١) **خصائص العينة من حيث متغير لعمر**

المراحل / خصائص العنية		الطفولة المتأخرة (ن= ٢١٢)	المراهقة المبكرة (ن = ٢١٢)	المراهقة المتأخرة (ن = ٢١٢)
العمر	م	١١,٢	٨,١١	٧,١٤
	ع	٠,٥٧	٠,٦٧	٠,٤١
النسبة المئوية التحصيل	م	١٢,٧١	٨,٨١	٤١,٨٠
	ع	١١,٦	٩٨,٧	٦١,١

الأدوات:

(١) مقياس الإيثار – من إعداد الباحث:

كان من الضروري قبل التقدم لاختيار فروض الدراسة إعداد أداة ملائمة لقياس الإيثار لدى الطلاب، تعبر عن طبيعة الثقافة المصرية وتستقي بنودها منها، على أن تتوفر لها الشروط السيكومترية بدرجة تسمح بالاعتماد عليها. ولبلوغ هذا المطلب وضع الباحث عدداً من الاعتبارات حاول مراعاتها في تصميم مقياس الإيثار وهي:

١- أن ينتظم مقياس الإيثار وفقاً للجوانب الثلاثة (المعرفي – الوجداني – الأدائي) انطلاقاً من أن هذا السلوك هو نتاج للتفاعل فيما بين مكوناته المختلفة.

٢- أن تحظى مكونات المقياس بقبول واسع من جانب الباحثين في المجال لإمكانية المقارنة

مع البحوث الأخرى.

٣- أن يكون المقياس صالحاً للتطبيق على المفحوصين في المراحل العمرية الثلاث موضع اهتمام البحث الحالي بهدف توحيد وحدة القياس وتيسير المقارنة بين المراحل العمرية.

ووفقاً للمحددات السابقة وفى ضوء اطلاع الباحث على بعض الأدوات التي اهتمت بقياس الإيثار، مثل مقياس السلوك المعضد للمجتمع عند Wier & Duveen (1980)، ومقياس الإيثار لدى الأطفال عند Ma & Leung (1991)، وقائمة السلوك الغيري عند إيمان معاذ (١٩٩٧)، ومقياس السلوك الغيري عند عماد عبد الرازق (٢٠٠٠) وما أسفرت عنه الدراسات السابقة من مكونات للإيثار كما روجعت بعض المقاييس التى أعدت من قبل لقياس الإيثار على عينات أخرى (Rushton adapted by Witt & Boleman, 2009; Batson, 2008) والتعرف على محتوياتها من مفردات ومكونات.

أما مكونات المقياس فحددت عن طريق تحليل ما يلي؛ الدراسات السابقة الخاصة بالإيثار بصفة عامة ثم صيغت بنود المقياس بحيث تناسب الاستخدام مع عينة الدراسة من المراهقين ذوي المشكلات الانفعالية، فروعي أن يضم مقياس الإيثار ثلاثة مقاييس فرعية كالتالي: ١- التعاطف ٢- المشاركة ٣- التضحية وروعى فيها الآتي:

ألا يكون البند منفيًا.

ألا يحتوي البند على كلمات مثل (دائمًا، عادة، أحيانا، كثيرا، غالبا، نادرا، قلما، يجب، أعتقد، أميل).

يعكس البند فكرة واحدة فقط.

ألا يكون البند عامًا وفضفاضًا.

أن يكون البند قصيرًا.

أن تتنوع صياغة البنود بين الإيجاب والسلب.

وتم تفادي المرغوبية الاجتماعية بالتوزيع الدائري لبنود المقياس بما لا يوحى للمفحوص بالاتجاه نحو شكل معين من الاستجابة، ويتكون المقياس الفرعي للتعاطف من ١٤ بندا، والمشاركة من ١٦ والتضحية ١٤ بندا. والمقياس في صورته النهائية يتكون من (٤٤) بندا اتفق المحكمون (٨) على صلاحيتها لقياس سلوك الإيثار. ويتم احتساب الدرجة على المقياس من خلال استجابة المبحوث عبر متصل من خمس درجات وعلى المبحوث أن يختار من بينها كالتالي:

الدرجة (١) إذا كان البند لا يتطابق تماماً على تصرفات الفرد.

الدرجة (٢) إذا كان البند لا يتطابق بصوره كبيرة على تصرفات الفرد.

(١) يتوجه الباحث بالشكر إلى السادة المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بأقسام علم النفس بجامعة جنوب الوادي والمنوفية.

الدرجة (٣) إذا كان البند يتطابق بصورة متوسطة على تصرفات الفرد.

الدرجة (٤) إذا كان البند يتطابق بصورة كبيرة.

الدرجة (٥) إذا كان البند يتطابق تماماً على تصرفات الفرد.

الخصائص السيكومترية للمقياس:

أ- الصدق:

ترتكز الإجراءات الهادفة لتحديد صدق الاختبار على تحديد مدى واتجاه العلاقة بين الأداء على الاختبار وبين الحقائق الملاحظة ذات الصلة بخصائص السلوك. وتتلخص أساليب فحص هذه العلاقات في ثلاث فئات رئيسة هي: صدق المضمون، وصدق التعلق بمحك، وصدق التكوين (Anastasi, 1991. 139). ويتميز النوع الأخير من أنواع الصدق بأنه أكثرها شمولاً، ومن ثم الاعتماد على حساب الصدق بأسلوب من الأساليب التي تندرج تحت صدق التكوين لتقدير صدق مقياس الإيثار كما يلي: (أ) **الاتساق الداخلي** تم حساب معاملات الارتباط بين كل بند والدرجة الكلية في كل مقياس فرعي.

جدول رقم (٢) يوضح معاملات الاتساق الداخلي لمقياس المشاركة

رقم البند	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة	رقم البند	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة
	ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند بالدرجة الكلية			ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند الدرجة الكلية	
١	٠,٣١	٠,٣٣	٠,٣٩	٨	٠,٢١	٠,٢٦	٠,٣٦
٢	٠,٣٦	٠,٣٣	٠,٣٥	٩	٠,٢٣	٠,٢٦	٠,٢٣
٣	٠,٢٩	٠,٢٤	٠,٢٨	١٠	٠,٣٦	٠,٢١	٠,٢٧
٤	٠,٢٩	٠,٣٦	٠,٣٥	١١	٠,٣٢	٠.٤٢	٠.٢٦
٥	٠,٣٣	٠,٣٥	٠,٣٥	١٢	٠,٣٥	٠,٣٥	٠,٣٧
٦	٠,٤٠	٠,٣٨	٠,٣٧	١٣	٠,٢٣	٠,٢٨	٠,٣٤
٧	٠,٢٦	٠,٣١	٠,٤١	١٤	٠,٢٨	٠,٣١	٠,٢٩

جدول رقم (٣) معاملات الاتساق الداخلي لمقياس التعاطف

رقم البند	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة	رقم البند	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة
	ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند بالدرجة الكلية		ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند الدرجة الكلية	ارتباط البند الدرجة الكلية
١	٠,٣٧	٠,٤٣	٠,٤١	٩	٠,٤٠	٠,٦٣	٠,٥٣
٢	٠,٤٥	٠,٥١	٠,٥٣	١٠	٠,٤٣	٠,٥٤	٠,٤٧
٣	٠,٣٥	٠,٤٦	٠,٥١	١١	٠,٤٥	٠,٥١	٠,٤٣
٤	٠,٤٤	٠,٥٢	٠,٤٢	١٢	٠,٥٢	٠,٤٧	٠,٤٤
٥	٠,٤٧	٠,٦٢	٠,٤٩	١٣	٠,٤٢	٠,٤٥	٠,٥١
٦	٠,٤٤	٠,٥٩	٠,٥٨	١٤	٠,٤٣	٠,٣٨	٠,٤٢
٧	٠,٥١	٠,٥١	٠,٥٣	١٥	٠,٤٦	٠,٤٢	٠,٤٦
٨	٠,٤٢	٠,٤٣	٠,٤١	١٦	٠,٥٢	٠,٣٧	٠,٤١

جدول رقم (٤) معاملات الاتساق الداخلي لمقياس التضحية

	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة
رقم البند	ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند بالدرجة الكلية	ارتباط البند بالدرجة لكلية
١	٠,٣٦	٠,٤٢	٠,٤٠
٢	٠,٤٢	٠,٤١	٠,٤١
٣	٠,٤٤	٠,٤٥	٠,٤٦
٤	٠,٣٨	٠,٤٧	٠,٤٤
٥	٠,٣١	٠,٤٥	٠,٤٢
٦	٠,٣٤	٠,٤٥	٠,٤٦
٧	٠,٤١	٠,٤٣	٠,٥١
٨	٠,٤٢	٠,٥١	٠,٥٣
٩	٠,٣٨	٠,٤١	٠,٤٧
١٠	٠,٣٥	٠,٥٣	٠,٤٥
١١	٠,٣٤	٠,٤١	٠,٥١
١٢	٠,٣٢	٠,٤٥	٠,٥١
١٣	٠,٣٧	٠,٣٦	٠,٦١

وبالنظر إلى قيم معاملات الارتباط الإتساق الداخلي الواردة في جداول ٣،٤،٥ والتي تراوحت دلالتها الإحصائية فيما بين ٠,٥ و٠,٠١، يتبين أن بنود مقاييس الإيثار تتسم بالتجانس الداخلي، كما يتضح أيضاً اتجاه معظم معاملات الارتباط بين البند والدرجة الكلية على المقياس الفرعي إلى الارتفاع عبر المراحل العمرية مما يشير إلى اطراد تجانس مكونات السلوك الأخلاقى بتقدم العمر، ويعد هذا مؤشرا آخر للصدق، مع توقعات مستمدة من نتائج بحوث سابقة، وهو مؤشر على صدق

التكوين.

ب- الثبات:

أجرى الثبات بطريقة إعادة الاختبار لتقدير ثبات مقياس الإيثار على عينة استطلاعية تتكون من ثلاث مجموعات عمرية تمثل الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة، عدد كل مجموعة ٥٦ طالبا. ويتضح من الجدول رقم (٢) أن المقاييس الفرعية وكذلك المقياس الكلي تتمتع بمعاملات ثبات دالة ومقبولة، مما يشير إلى ثبات المقياس.

جدول رقم (٥) معاملات الثبات بطريقة إعادة الاختبار لدى عينات البحث الثلاث الاستطلاعية

المراحل / المقاييس	الطفولة المتأخرة ن = ٥٦		المراهقة المبكرة ن = ٥٦		المراهقة المتأخرة ن = ٥٦	
التعاطف	٠,٧١	**[٩]	٠,٧٣	**	٠,٧١	**
المشاركة	٠,٦٧	**	٠,٦٦	**	٠,٧٤	**
التضحية	٠,٦٥	**	٠,٦١	**	٠,٦٩	**
المقياس الكلي	٠,٨١	**	٠,٨٢	**	٠,٨٤	**

(٢) استمارة البيانات الشخصية: من إعداد الباحث

ضمت هذه الاستمارة مجموعة البيانات الشخصية للفرد، وكذلك البيانات الاجتماعية للوالدين والتي تمثل أهم المحددات المميزة للمستوى الاقتصادي الاجتماعي كالمهنة والدخل ومكان السكن.

خطة التحليل الاحصائى:

١- المتوسط والانحراف المعياري.

٢- تحليل التباين الأحادي للمجموعات المنفصلة.

٣- استخدام الدرجة المعيارية.

عرض النتائج:

ينص الفرض الأول على أنه "توجد فروق بين المجموعات في درجاتهم على مقياس الإيثار والمقاييس الفرعية (التعاطف-المشاركة-التضحية)"

فيما يلي عرض النتائج التي تم التوصل إليها:

١- نتائج الفروق بين المجموعات في الإيثار:

كشفت النتائج الواردة بجدول رقم (٦) عن وجود فروق جوهرية عند مستوى ٠,٠١ بين مجموعات البحث في كل من الدرجة الكلية للإيثار والتعاطف والمشاركة والتضحية.

([١])** دال عند ٠,٠١، * دال عند ٠,٠٥

جدول رقم (٦)

نتائج تحليل التباين الأحادي للفروق بين المجموعات في كل من: الدرجة الكلية للإيثار والتعاطف والمشاركة والتضحية

مصدر التباين (بين المجموعات) في:	مجموع المربعات	د. ح	متوسط المربعات	ف	الدلالة
الدرجة الكلية للإيثار	١٣٤٢,٤١	٢	٦٧١,٢٠	٤,٢٨	٠.٠١
التعاطف	٦٤٧,٨٠١	٢	٣٢٣,٤	٥,٢	غير دالة
المشاركة	٩١٨,١٥	٢	٤٦٤,١٠	٣,١١	٠,٠٥
التضحية	٣٢,٩٣١	٢	٤٢٠,٩٠	٣,٤٢	٠.٠١

يوضح جدول (٦) النتائج التالية:

١] أن للعمر الزمني تأثيراً رئيساً دالاً على الدرجة الكلية للإيثار [ف=٢٨,٤؛ دالة عند مستوى ٠.٠١].

٢] ليس للعمر الزمني تأثير رئيس دال على التعاطف [ف=٥,٢؛ غير دالة]. وهذا يعنى أن هذا المتغير لا يختلف اختلافاً جوهرياً بين مجموعة الطفولة المتأخرة ومجموعتي المراهقة المتأخرة والمبكرة.

٣] أن للعمر الزمني تأثيراً رئيساً دالاً على المشاركة [ف=٣,١١؛ دالة عند مستوى ٠.٠٥].

٤] أن للعمر الزمني تأثيراً رئيساً دالاً على التضحية [ف=٤٢,٣؛ دالة عند مستوى ٠.٠١].

وبما أن بعض نتائج تحليل التباين دالة إحصائيا، إذن يلزم إجراء اختبار بعدي لمعرفة اتجاه الفروق بين المجموعات العمرية. وقد استخدم في ذلك اختبار توكي. وفيما يلي نتائج اختبار توكي:

أ. بالنسبة للدرجة الكلية للإيثار، تكشف النتائج باستخدام معامل توكي إلى أن قيمة الفرق الحرج (٢,٨٥)، وبذلك تظهر مجموعة المراهقة المبكرة أفضل المجموعات في سلوك الإيثار، في حين ظهرت مجموعة الطفولة المتأخرة كأقل المجموعات فى ذلك.

ب. بالنسبة للمشاركة، تكشف النتائج أن قيمة الفرق الحرج باستخدام معامل توكي (٢,٨٣)، ويدل هذا على تفوق مجموعة المراهقة المتأخرة فى سلوك المشاركة.

جـ. بالنسبة للتضحية، بلغت قيمة الفرق الحرج لتوكي (٢, ٥٢)، مما يشير إلى تفوق مجموعة المراهقة المبكرة عن سائر مجموعات الدراسة.

٢- نتائج التغير الكمي في اتجاه النمو والارتقاء لسلوك الإيثار:

رغم أهمية المؤشرات السابقة التي نتجت عن تحليل التباين، فإنها لم تكتشف عن اتجاهات النمو والارتقاء في متغيرات سلوك الإيثار، ومعدلات التغير التي تطرأ عليها بتقدم العمر من الطفولة

إلى المراهقة، ومن ثم فنحن بحاجة إلى استخدام التمثيل البياني لتوضيح اتجاه النمو من الطفولة المتأخرة إلى المراهقة المتأخرة. ولإنجاز هذه الخطوة، تم حساب الدرجات المعيارية لمقدار النمو لمتغيرات الإيثار بشكل يسهم في توحيد أساس التمثيل البياني لاتجاهات النمو في مختلف المتغيرات وبعضها بعضا في مدى واتجاه النمو. ويوضح شكل (أ) العرض البياني لمعدلات النمو في متغيرات الإيثار.

جدول رقم (٧) عرض بياني لمعدلات النمو في متغيرات الإيثار: التعاطف والمشاركة والتضحية **(*)**

المتغيرات	مقدار النمو أو الانخفاض في متغيرات الدراسة		
	الطفولة المتأخرة	المراهقة المبكرة	المراهقة المتأخرة
الإيثار	-٠,٢١	٠,٢٢	-٠,٠٣
التعاطف	-٠,٠٣	٠,٠١	-٠,٠٢
المشاركة	-٠,١٦	٠,١٦	-٠,١٧
التضحية	-٠,١٢	٠,١٤	-٠,٠٢

(*) تم إضافة ١٠ درجات لكل القيم الرقمية حتى تتضح الفروق بصورة أكثر وضوحا دون الإخلال بصحة الوقائع.

يوضح جدول (٧) أن مرحلة الطفولة المتاخرة تشهدت انخفاضا في الإيثار وكل مكوناته من تعاطف ومشاركة وتضحية. أما مرحلة المراهقة المبكرة فتشهد ارتفاعا في الإيثار ومكوناته أكثر من المرحلتين العمريتين الأخريين. أما مرحلة المراهقة المتأخرة فتشهد انخفاضا طفيفا في الإيثار ومكوناته الثلاثة. وهذا ما يظهر بوضوح في الشكل البياني (أ)، الذي يوضح أن الخط البياني للمراهقة المبكرة هو أعلى الخطوط، يليه خط المراهقة المتأخرة، ويأتي خط الطفولة المتأخرة أكثر انخفاضا من الخطين الأخريين.

شكل (١) يوضح الإرتقاء فى الإيثار لدى المراحل العمرية:

يوضح شكل رقم (أ) الإرتقاء فى الإيثار عبر مراحل العمر الثلاث، حيث يكشف عن عدد من الدلالات ممكن أن نجملها فيما يلي:

١- أن أهم فترة يحدث فيها تغير في سلوك الإيثار سواء بالزيادة أو بالنقصان هي تلك الممتدة بين مرحله الطفولة المتأخرة إلى المراهقة المبكرة.
٢- أن الارتقاء في متغير المشاركة يتجه في الزيادة مع التقدم في العمر.
٣- أن الارتقاء في التعاطف يمضي ببطء نحو الانخفاض مع تقدم العمر.
٤- أن مرحلة المراهقة المبكرة تمثل فترة النمو الأساسية لمتغيرات الإيثار جميعاً.

مناقشه النتائج:

قبل مناقشه النتائج التي أسفرت عنها الدراسة، لابد من الإشارة إلى أن سلوك الإيثار بوصفه أحد أنماط السلوك الاجتماعي قد لا يتيسر فهمه وتفسيره من خلال الفروق بين المراحل العمرية وإنْ كانت موضع اهتمام البحث الحالي. ولكن أنسب الطرق لذلك تلك التي تضع في اعتبارها المتغيرات الموقفية التي قد تحدثه، وكذلك خصائص شخصية الأفراد. وتنحصر الدلالات التفسيرية في التناول الحالي في حدود متواضعة، وترتكز في إيضاح السبب في اختلاف السلوك الإيثاري من مرحلة زمنية لأخرى، وكذلك الوقوف على اتجاه النمو والارتقاء لهذا السلوك.

في حدود الإجراءات المتبعة من عينة وأدوات، يمكننا تفسير النتائج التي كشفت عنها الدراسة، وذلك في ضوء نتائج التحليلات الإحصائية والتحقق من مدى تأييدها لفروض الدراسة والكشف عن حدود الاتفاق والاختلاف بين هذه النتائج.

تشير النتائج في هذا الجانب بشكل عام إلى حدوث تزايد مطرد عبر المراحل الارتقائية في متوسط متغيرات المشاركة والتضحية والدرجة الكلية للإيثار، في حين لم يظهر ذلك بالنسبة لمتغير التعاطف. وقد يكون من المفيد مناقشة كل متغير على حدة:

١- **الإيثار**:

تشير النتائج الواردة بالجدول رقم (٦) إلى تفوق عينة المراهقة المبكرة. وتبدو هذه النتيجة متعارضة مع نتائج الدراسات السابقة في هذا الجانب. مثلا تشير بعض الدراسات إلى أن سلوك الإيثار يزيد مع التقدم في العمر (Bar-Tal, 1976: 12) في حين لم تكشف دراسات أخرى عن ذلك (Yarrow & Waxler, 1976).

وقد يكون مرجع هذا التضارب كون سلوك الإيثار سلوكا مركبا لا يمكن تفسيره بشكل أحادي نظراً لاعتماده على متغيرات نفسيه واجتماعيه متشابكة، حيث تنشأ علاقة معقدة بين العمر والإيثار، وتشير منحنيات النمو إلى أن مرحلة المراهقة المبكرة تمثل فترة النمو الأساسية للإيثار.

التعاطف:

لم تكشف النتائج في جدول (٦) عن وجود فروق جوهرية بين المجموعات في التعاطف. وتأتي هذه النتيجة متسقة مع ما أشار إليه Hoffman، من أن التعاطف يظهر بشكل واضح في نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية المراهقة؛ حيث يزيد الفهم لمعاناة الآخرين، بالإضافة إلى زيادة الخبرات التي يتعرض لها الأفراد في هذه الفترة (In: Eisenberg, & Mussen, 1995). ومن جانب آخر قد تتعارض نتائجنا مع العديد من الدراسات السابقة (مثل: Davis & Franzoi 1991)، حيث أشارت إلى أن المراهقين يبدون تعاطفا أعلى من الأطفال. وقد يكمن مثل هذا التعارض في اختلاف أساليب قياس التعاطف، فقد اعتمدت معظم الدراسات على قصص شبه إسقاطية أو ملاحظة سلوك الأطفال في مواقف تجريبية، بينما استخدم في بحثنا الحالي التقرير الذاتي، ومن ثم فقد يمكن فهم اختلاف النتائج وفقا لذلك.

المشاركة:

تكشف النتائج الواردة بالجدول رقم (٦) إلى تفوق عينة المراهقة المتأخرة على عينة الطفولة المتأخرة في المشاركة، مما يشير إلى حدوث زيادة مطردة في هذا المتغير. وتعكس هذه النتيجة تغيرا ارتقائيا من الذاتية إلى التوجه نحو الآخرين ومساعدتهم. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات (Green & Schneider 1974; Louernco, 1993; Zern, 1997؛ رجوات متولي ١٩٩٩)، حيث يزيد سلوك المساعدة بتقدم العمر وتنسجم أيضا مع التوقعات الاجتماعية التي تصاحب الارتقاء الاجتماعي للمراهق. فزيادة العلاقات الشخصية مع الآخرين ومحاولة تمثيل الكبار في العلاقات الاجتماعية ومنها تقديم المساعدة والمشاركة (Eisenberg, & Mussen, 1995: 31). وتفيد نظرية التعلم الاجتماعي بأن السلوك الإيثاري مكتسب من خلال التفاعلات الاجتماعية والنمذجة. ووجد الباحثون أن نمذجة الدور الوالدي حول البذل والتطوع يرتبط بالبذل والتطوع لدى المراهقين إضافة لذلك، وجد العلماء علاقة موجبة بين سلوك المعلمين المساند اجتماعيا وسلوك المساعدة لدى الطلبة في الصف (Shah, S., & Ali, A., 2012).

التضحية:

تكشف النتائج الواردة بالجدول رقم (٦) عن تفوق عينتي المراهقة على عينة الطفولة المتأخرة في سلوك التضحية، وبلغ هذا السلوك قمته لدى عينة المراهقة المتأخرة. وتتسق هذه النتيجة مع ما كشفت عنه (1985) Midlarsky & Hannah من أن سلوك التضحية والعون يبدأ في الظهور في نهاية المرحلة الابتدائية ويستمر حتى المراهقة المتأخرة، ثم تنخفض هذه السلوكيات بعد ذلك لعدد من الأسباب من أهمها الاستهجان الاجتماعي؛ إما للخوف من عدم كفاءتهم أو الخوف من

رفض المساعدة. ويشير منحنى الارتقاء إلى ما يدعم ذلك، حيث يبدأ هذا السلوك في التزايد ويصل إلى ذروته في مرحلة المراهقة المبكرة، ثم يبدأ في الانخفاض التدريجي في المراهقة المتأخرة. وقد يكون الانخفاض مرتبطاً بعوامل أخرى مثل الخبرات السلبية المصاحبة لتقديم مثل هذه السلوكيات مما قد يسهم في انخفاضها.

التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث، يمكن التوصية بما يلي:

أ. إرشاد الوالدين والمربين بخصائص الأطفال والمراهقين، خاصة بالنسبة للإيثار.

ب. ضرورة توعية الوالدين والمربين أن يكونوا قدوة ونموذجا يحتذى للنشء خاصة في مجال الإيثار، إذ أن ذلك لك أثر عميق في تشكيل سلوكيات الأطفال والمراهقين.

الدراسات المقترحة:

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج الدراسة، يمكن اقتراح عدد من الدراسات للباحثين المهتمين بهذا الحقل البحثي:

١. إجراء دراسة موسعة على المراحل العمرية التي تناولتها الدراسة الحالية، بحيث تشمل نطاق جغرافي أوسع.

٢. إجراء دراسة تقارن بين الأطفال والمراهقين في كل من الريف والحضر في الإيثار ومكوناته.

٣. إجراء دراسة تحاول استكشاف الخصائص الشخصية التي تميز الأطفال والمراهقين الإيثاريين عن غيرهم.

المراجع:

- أبو حطب، فؤاد؛ صادق، آمال (**١٩٨٤**). **علم النفس التربوي**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- العسكري، أبو هلال (١٩٧٧). **الفروق في اللغة**. بيروت: الآفاق الجديدة.

- العنانى، حنان (٢٠٠٧). **المساعدة والإيثار لدى عينة من معلمي الأطفال فى الأردن**. مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية. ٢١(٤)، ١٠٥٧- ١٠٧٨.

- درويش، زين العابدين (١٩٧٤). نمو القدرات الإبداعية: دراسة ارتقائية باستخدام التحليل العاملي. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

- سلامة، ممدوحة محمد (**١٩٩٠**). **الإرشاد النفسي من منظور نمائي**. القاهرة: مكتبة الأنجلو

المصرية.

- طه، فرج عبد القادر (٢٠٠٥). علم النفس الإيجابي والسعادة البشرية. **مجلة الإرشاد النفسي، العدد الأول – جامعة عين شمس**، ص صـ ٣٩:٢٧.

- عبد الحميد، شاكر (١٩٨٩). **الطفولة والإبداع، جـ٢**. الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

- عبد الخالق، أحمد (١٩٩٤ أ). **الدراسة التطورية للقلق**. حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت الحولية الرابعة عشرة الرسالة التسعون.

- عبد الخالق، أحمد (١٩٩٤ ب). عرض لبحوث عربية في تطور سمات الشخصية. **ورقة مقدمة إلى ندوة مستقبل علم النفس بين الحاضر والمستقبل**. كلية الآداب جامعة القاهرة.

- عبد الرازق، عماد (٢٠٠٠). نمط الوالدية ومتغيرات الشخصية المنبأة بالسلوك الغيري لدى الأطفال. **المؤتمر الدولي السابع للإرشاد النفسي، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس**، ص ص ١٥٥-١٧٨.

- عثمان، سيد أحمد (١٩٨٦). **الإثراء النفسي**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

- فرج، أحمد فرج (١٩٨٠). **سيكولوجية الشخصية**. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت.

- قطب، عزة عبد الحفيظ (١٩٩٣). السلوك الإيثاري لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة. رسالة ماجستير غير منشورة. معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.

- متولي، رجوات عبد اللطيف (١٩٩٩). ارتقاء الأبعاد الأساسية لسلوك تقديم المساعدة – دراسة عبر ثلاث مراحل عمرية. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب، جامعة حلوان.

- معاذ، إيمان عبد الرحمن (١٩٩٧). السلوك الغيري لدى الأطفال وعلاقته بتقديرهم لذواتهم. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب، جامعة الزقازيق.

- هول، كالفن؛ لندزي، جاردنر (١٩٧١). **نظريات الشخصية**، ترجمة فرج أحمد وآخرون. القاهرة:

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- Anastasi, A. (1990). **Psychological testing.** New York: Macmillan Publishing Co.

- Bar-tal, D. (1976). **Prosocial behavior: theory and research.** London: John Wily & sons.

- Bar-Tal, D. & Nissim, S. (1984). American study of helping behavior: What? Why? And where? In E. Staub, D. Bar-Tal, j. Karylowski, & J. Reykowski (Eds.), **Development and maintenance of prosocial behavior: International perspectives on positive morality**. New York: Plenum.

- Bar-tal, D.; Raviv, A. & Liser, T. (1980). The Development of altruistic behavior: empirical evidence. **Developmental Psychology, 16 (5)**, pp. 516-524.

- Bar-Tal, D., & Herman, M. (1977). Reciprocity behavior in the relationship between donor and recipient and between harm-doer and victim. **Sociometry, 40**, pp. 293-298.

- Batson, C. (2008). **Altruism**. New York, NY: Open University Press.

- Batson, C. (1991). **The Altruism Question: Toward a Social-Psychological Answer**. New-Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Publishers.

- Batson, C., & Shaw, L. & Clary, L. (1981). Evidence for altruism: Toward a pluralism of prosocial motives. **Psychological Inquiry, 2**, pp. 107–122.

- Batson, C. D. (1987). Prosocial motivation: Is it ever truly altruistic? In L. Berkowitz (Ed.), **Advances in experimental social psychology** (Vol. 20, pp. 65-122). New York: Academic Press.

- Batson, C. D. (1987). Prosocial motivation: Is it ever truly altruistic? In L. Berkowitz (Ed.), **Advances in experimental social psychology** (Vol. 20, pp. 65-122). New York: Academic Press.

- Bengtsson, H. & Johnson, L. (1987). Cognitions related to

empathy in five to eleven-year-old children. **Child Development, 58**, pp. 1001-1012.

- Buck, R. & Ginsburg, B. (1988). **Human motivation and emotion. (2nd.)**. New York: John Wiley.

-Darley, J., Latanè, B., Macouby, R. (1970). **The unresponsive bystander: Why doesn't he help?** New York: Appleton-Century-Crofts.

- Clary, E. (1994). **A functional analysis of volunteers' motivations**. Paper presented at Independent Sector's Spring Research Forum, Boston.

Davis, M. & Franzoi, S. (1991). Stability and change adolescent self-consciousness and empathy. **Journal of Research in Personality, 25**, pp. 70-87.

- Eisenberg, N. (1982). **Altruistic emotion, cognition, and behavior**. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

- Eisenberg, N. & Miller, P. A. (1987). The relation of empathy to prosocial and related behavior. **Psychological Bulletin, 101 (1)**, pp. 91-119.

- Eisenberg, N. & Mussen, p. H. (1978). Empathy and Moral Development in Adolescence. **Developmental Psychology, 14 (2)**, pp. 185-186.

- Eisenberg, N. & Mussen, P. H. (1995). **The root of prosocial behavior in child**. New York: Cambridge University press.

- Eisenberg, N. (1992). **The Caring Child**. London: Harvard University Press.

- Eisenberg, N.; Cameron, E.; Tryon, K. & Dodez, R. (1983). Socialization of pro social behavior in the preschool classroom. **Developmental Psychology, 17 (6)**, pp. 773-782.

- Eisenberg, N.; Fabes, R. A.; Carlo, G.; Troyor, D.; Speer, A. L.; Karbon, M. & Switzer, G. (1992). The relation of maternal practices & characteristics to children's vicarious emotional responsiveness. **Child Development, 63**, pp. 583-602.

- English, H. & English, A. (1958). **A Comprehensive dictionary of**

psychology and psychoanalytical terms. London: logmans, Green &co.

- Goldenson, R. (Ed) (1984). **Longman dictionary of psychology and psychiatry**. New York: Longman.

- Green, F. P & Schneider, F. W. (1974). Age differences in the behavior of boys on three measures of altruism. **Child Development, 45**, pp. 248-251.

- Gurthrie, I. K.; E Isenberg, N.; Fabes, R. A.; Murphy, B. C. Holmgren, R.; Mazsk, P. & Suh, K. (1997). The relations of regulation and emotionality to children's situational empathy related responding. **Motivation & Emotion, 21 (1)**, pp. 87-108.

- Hoffmann, M. (1981). Is altruism part of human nature? **Journal of Personality and Social Psychology, 40**, pp. 121-137.

- Hoffman, M. L. (1975). Moral internalization, parental power, and the nature of parent-child interaction. **Developmental Pasychology, 11 (2)**, pp. 228-239.

- Hoffman, M.L. (1975). The Development of Altruistic Motivation. Paper Presented at the Biennial Meeting of the Society for Research in Child Development (Denver, Colorado, April 10, 1975).

- Hoffman, M. L. (1982). Psychological and Biological Perspectives on Altruism. **International Journal of Behavioral Development, 1(4)**, pp. 323–339.

- Janssnens, J. M. & Dekovic, M. (1997). Child rearing, prosocial moral reasoning, and prosocial behavior. **International Journal of Behavioral Development, 20 (3)**, pp. 509-527.

- Kaluger, G. & Kaluger, M. (1979). **Human development; The span of life**. St, Mosby company.

- Knudson, K. H. & Kagan, S. (1982). Differential development of empathy and prosocial behavior. **The Journal of Genetic Psychology, 140**, pp. 249-251.

- Kokkonen, J. A., Kokkonen, M. T., Telama, R. K., & Liukkonen, J.

O. (2013). Teachers' behavior and pupils'achievement motivation as determinants of intended helping behavior in physical education. **Scandinavian Journal of Educational Research, 57(2)**, pp. 199–216.

- Krebs, D. L. (1970). Empathy and altruism. **Journal of personality and social psychology, 32 (6)**, pp. 1134-1146.

- Krevans, J. & Gibs, J. C. (1996). Parents use of inductive discipline: relations to children's empathy and prosocial behavior. **Child Development, 67 (6)**, pp. 3263-3277.

- Lourenco, O. M. (1993). Toward a piagetian explanation of the development of prosocial behavior in children: The force of nergational thinking. **British Journal of Developmental psychology, 11**, pp. 91-106.

- Ma, H. K. & Leung, M. C. (1991a). Effects of age, sex, and social relationships on the Altruistic behavior of Chinese children. **Journal of Genetic Psychology, 149**, pp. 293-302.

- Ma, H. K. & Leung, M. C. (1991b). Altruistic orientation in children: construction and validation of the child Altruism inventory. **International Journal of Psychology, 26 (6)**, pp.745-759.

- **Midlarsky, E. (1984)**. Competence and helping: Notes toward a model. In E. Staub, D. Bar-Tal, J. Karylowski, & J. Reykowski (Eds.), *Development and maintenance of prosocial behavior*. (pp. 291-308). New York; Plenum.

- **Midlarsky, E., & Hannah, M. (1985)**. Competence, reticence, and helping by children and adolescents. *Developmental Psychology, 21*, 534-541.

- Midlarsky, E. (1989). The generous elderly. **Psychology and Aging, 4**, pp. 346-351.

- Ottoni-Wilhelm, M., Estell, D. B., & Perdue, N. H. (2014). Role-modeling and conversations giving in the socialization of adolescent charitable giving and volunteering. **Journal of Adolescence, 37(1)**, pp. 53–66.

- Pennington, D.; Cgillen, K. & Hill, P. (1999). **social psychology.** London: Arnold.

- Phares, E. J. (1991). **Introduction to personality**. Harper Collins Publishers, 3rd.ed.

- Phares, E. J. (1988). **Introduction to Personality**. Harper Collins Publishers, 2nd. Ed.

- Piliavin, J. A. (2001). **Sociology of Altruism and Pro-Social Behavior**, In International Encyclopedia of the Social and Behavioral Sciences, (pp. 411–415). Oxford: Elsevier.

- Piliavin, J.A., & Charng, H.W. (1990). Altruism: A Review of Recent Theory and Research. **Annual Review of Sociology, 16**, pp. 27–65.

- Renwick, S. & Emler, N. (1984). Moral reasoning and delinquent behavior among students. **British Journal of Social Psychology, 23 (3)**, pp. 281-283.

- Ricard, M. & Kilicci, M. (1995). Children's empathic responses to emotional complexity. **International Journal of Behavioral Development, 18 (2)**, pp. 211-225.

- Rious, J. & Cunningham, M. (2018). Altruism as a buffer for antisocial behavior for African American adolescents exposed to community violence. **Journal of Community Psychology, 46**, pp. 224–237.

- Robinson, E. H., & Curry, J. (2007). Altruism at Broadmead: Reflections from the past on the manifestation and development of unselfish caring. **Thresholds**, pp.17–19.

- Rushton, J. P. & Wienner, J. (1975). Altruism and cognitive development in children. **British Journal of Social & Clinical Psychology, 14**, pp. 341-349.

- Safder, J. & Kausar, S. (2015). A Cross-Cultural Exploration of Perceptions of Altruism of Counselors-in-Training. **Counseling and Values, Vol. 60**, pp. 201-217.

- Shah, S. S., & Ali, A. Z. (2012). Altruism and belief in just world in young adults: Relationship with religiosity. **Pakistan Journal of**

Clinical Psychology, 11(2), pp. 35-46.

- Skarin, P. & Rushton, J. (1976). Altruism and society: A social learning perspective. **Ethics, 92**, pp. 425–446.

- Strayer, J. & Roberts, W. (1997a). Children's personal distance and their empathy: Indices of interpersonal closeness. **International Journal of Behavioral Development, 20 (3)**, pp. 385-403.

- Swank, J. & imberg, D. (2020). Development of the Altruism Scale for Children: An Assessment of Caring Behaviors Among Children. **Measurement and Evaluation in Counseling and Development, Vol. 53, No. 1**, pp. 34–43.

- Underwood, B. & Moore, B. (1977). Mood, attention, and altruism: A search for mediating variables. **Developmental Psychology, 13**, pp. 541-542.

- Vander-Bolt, L. & Tellegen, S. (1997). The connection between the reading of books and the development of sympathy and empathy. **Imagination, Cognition & Personality, 14 (3)**, pp. 247-260.

- Wier, J. & Duveen, H. (1980). Altruism and aggression: The heritability of indivi-dual differences. **Journal of Personality and Social Psychology, 44(19)**, 1192-1198.

- Witt, S. & Boleman, D. (2009). Community violence exposure and aggression among urban adolescents: Testing a cognitive mediator model. **Journal of Community Psychology, 37(7)**, pp. 895–910.

- Wu, Z., & Su, Y., (2014). How do preschoolers' sharing behaviors relate to their theory of mind understanding? **Journal of Experimental Child Psychology, 1201**, pp. 73–86.

- Yarraw, M. R. & Zahan-Waxler, C. (1976). Dimensions and correlates of prosocial behavior in young children. **Child Development, 47**, pp. 118-125.

- Zern, D. S. (1997). A Longitudinal study of Adolescents attitudes about assistance in the development of moral values. **Journal of Genetic Psychology, 158 (1)**, pp. 79-96.

The development of altruistic behavior in late childhood, and early and late adolescence

Dr. Ahmed Hussein Al-Shafei
Associat Professor - Department of Psychology, Faculty of Arts, Helwan University.

Abstract

study aimed to discuss the development of altruistic behavior elevates between late childhood and adolescence. The sample of the study consisted of 636 (male) school children and adolescents in the city of Tanta, representing three age groups; Late childhood (n = 212), early adolescence (n = 212), late adolescence (n = 212). The altruism scale prepared by the researcher was applied to them. Intelligence and socio-economic level variables were controlled. The results show that the early adolescence group had the best groups in altruistic behavior, while the late childhood group had the least groups. The three groups did not differ significantly in the empathy variable, while the late adolescence group had the highest groups in sharing behavior. Finally, the early adolescent group was the top three in the sacrifice variants.